الفصل الثاني

التنمية السياحية، ومفهوم الاستدامة

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

تهدف تنمية الصناعة السياحية إلى تحقيق زيادة مستمرة ومتوازنة في الموارد السياحية، وأول محور في عملية التنمية هو الإنسان الذي يعد أداتها الرئيسة، ولهذا فإن الدولة مطالبة بالسعي إلى توفير كل ما يحتاج إليه لتبني القدرات البدنية والعقلية والنفسية لهذا الإنسان على أكمل وجه، حيث إن التنمية السياحية تبدأ مع تقدير الإنسان لأهمية السياحة وللفوائد التي يجنيها على كافة المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية[٦٢].

وتتم التنمية السياحية عن طريق التركيز على المنتج السياحي وحسن تقديمه والأخذ بكافة السبل التي تدعم القدرات السياحية الطبيعية وغير الطبيعية والعمل على الاستفادة منها وذلك بمشاركة المؤسسات الرسمية والخاصة، ومن أهدافها: العمل بين الجهات العاملة في السياحة وغيرها وإشراكها في كافة الفاعليات، والحفاظ على المواقع الأثرية، وإقامة المنشآت السياحية، وفتح الاستثمار، وتشجيع التنمية السياحية بمشاركة الجهات الرسمية وغير الرسمية، وأيضًا تعزيز مشاركة القطاع الخاص في التنمية السياحية بإنشاء الفنادق وتطوير الصناعات التقليدية وخلق فرص عمل وتشجيع الشباب على العمل في هذا المجال السياحي[٦٣].

ويركز الفصل الحالي على عرض مفهوم التنمية السياحية وتوضيح أهميتها والفروق بين التنمية السياحية التقليدية والمستدامة.

مفهوم التنمية السياحية:

يُقصد **بالتنمية السياحية** تنمية مكونات المنتج السياحي وبوجه خاص في إطاره الحضاري والطبيعي أو بمعنى آخر تنمية الموارد السياحية الطبيعية والحضارية ضمن مجموع الموارد السياحية المتاحة في الدولة[٦٤].

كما يعبر اصطلاح **التنمية السياحية** عن مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستمرة المتوازنة في الموارد السياحية وتعميق وترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي، وهي عملية مركبة متشعبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها ومتداخلة مع بعضها البعض تقوم على محاولة علمية وتطبيقية للوصول إلى الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي الأولية من إطار طبيعي، وإطار حضاري والمرافق الأساسية العامة والسياحية من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي وربط كل ذلك بعناصر البيئة واستخدامات الطاقة المتجددة وتنمية مصادر الثروة البشرية للقيام بدورها المرسوم في برامج التنمية[٦٥].

مما سبق يتضح أن مفهوم التنمية السياحية مفهوم متعدد ومتشابك الأركان والعناصر الذي يشتمل عليها، حيث إن التنمية السياحية ليست بالعملية السهلة أو البسيطة، وإنما هي تنطوي على عناصر واعتبارات لتحقيق هذه العملية لاسيما أنها تتداخل وتتشابك مع مجالات أخرى؛ حيث تقضي عملية التنمية السياحية بتوفير أفضل التسهيلات للسائح وتشجيعه على القيام بالنشاط السياحي مما يستدعي إشباع رغبات هذا السائح بكل ما يمكن وهذا يترتب عليه التعامل مع قطاعات مختلفة كالمواصلات والصحة وتوفير الطعام والحاجات الأساسية للسائح وتوفير البنية الأساسية للمكان الذي يتواجد فيه أو يتجه إليه.

كما يتطلب مفهوم التنمية السياحية تشجيع الاستثمار سواءً المحلي أو الأجنبي لاستثمار رءوس أموالهم في مشروعات سياحية في هذه الدولة، مما يستلزم اتخاذ الخطوات اللازمة وتوفير المناخ التشريعي والقانوني والمادي لتسهيل إجراءات الاستثمار السياحي وما يتبع ذلك من أدوات وإجراءات معقدة ومتشابكة. ولتحقيق التنمية السياحية فهناك بعض الاعتبارات التي يجب الانتباه إليها عند التفكير في عملية تنمية المجال السياحي.

٢- اعتبارات تحقيق التنمية السياحية:

التنمية السياحية ليست مهمة أحادية الجانب بمعنى أنها مهمة وزارة السياحة فقط، وإنما مهمة وطنية لمجموعة الوزارات والمؤسسات التي تشكل حلقات متكاملة تعمل جميعًا في إطار التنمية السياحية وتسويقها لزيادة استثماراتها[٦٦].

وتتعاون الأجهزة السياحية الرسمية والأجهزة الأخرى غير الرسمية وتتكاتف لتحقيق أهداف التنمية السياحية وتقديم كافة التسهيلات والخدمات للسائحين لزيادة أعدادهم واستقطاب المزيد منهم، ولهذا فقد أنشأت كافة البلاد العربية أجهزة رسمية خاصة بها للقيام بالمهام التنموية المنوطة بها[٦٧].

ولهذا فإن تنمية الصناعة السياحية تحكمها عدة اعتبارات لابد من مراعاتها، وهي على النحو التالي[٦٨]:

أ- تدريب الجهاز البشري اللازم الذي يحتاج إليه القطاع السياحي حتى تتمكن المنشآت السياحية من القيام بدورها بالشكل المطلوب.

ب- المحافظة على حقيقة المواقع السياحية؛ لأن جذب السياح إلى هذه المناطق قد يعتمد على المناخ أو الطبيعة أو التاريخ أو أي عامل آخر تتميز به المنطقة السياحية.

ت- الاستغلال الجيد للموارد السياحية المتاحة مع توفير المرونة لها لتتمكن من مواكبة احتياجات الطلب السياحي المحلي والعالمي.

ث- إجراء دراسة شاملة للتأكد من الجدوى الاقتصادية للاستثمارات السياحية المقترحة وفيما إذا كان الاستثمار سيدر أرباحًا أم لا.

ج- دعم الدولة للقطاع السياحي، عبر معاونة القطاع الخاص في تنفيذ البرامج السياحية ويكون ذلك عبر خطة إعلانية تسويقية متكاملة.

ح- ربط خطة التنمية السياحية مع خطط التنمية الاقتصادية الأخرى لمختلف القطاعات الاقتصادية لتحقيق نمو متوازن وليس مجرد الاهتمام بالسياحة فقط.

خ- تحديد المشكلات التي قد تعترض تنمية الصناعة السياحية ثم وضع خطط بديلة في حال حدوث طارئ معين.

د- دراسة السوق السياحي المحلي من أجل معرفة نوعية السياح الوافدين وما هي تفضيلاتهم للسعي إلى تأمينها قدر الإمكان.

ذ- توفير شبكة من الفنادق المناسبة لكل شكل من أشكال الدخل، ولكل نماذج الرغبات بخاصة المناسبة منها لذوي الدخل المحدود؛ فحركة السياح لم تعد مقتصرة على الأغنياء.

ر- رفع مستوى النظافة والخدمات السياحية؛ لأنهما يؤديان دورًا مهمًّا في تطوير التنمية السياحية فحين يتم الحفاظ على نظافة الشوارع والشواطئ والآثار وغيرها من عوامل الجذب تجعل السائح يرغب في العودة إلى هذا البلد.

كما أنه[٦٩] – وقبل البدء في اتخاذ أي قرار يتعلق بالتنمية السياحية في منطقة ما – ينبغي البحث عن أفضل استغلال وتوظيف لإمكاناتها ومواردها مع الأخذ في الاعتبار عدة أمور أساسية:

أ- الإطار الطبيعي الذي يمثل الاحتياجات الضرورية للنشاط السياحي، مثل: (الصناعات- والمواد الأولية – والزراعية- والمصايد).

ب- البناء الفني الذي يتضمن طريقة الاستغلال الأمثل للموارد السياحية وتسهيل الوصول إليها.

ت- التوزيع السكاني وتطور حركة العمران بالمنطقة وأحوال السكان ومستوى معيشتهم.

ث- السوق السياحية المحلية والدولية وعلاقة ذلك بسبل إعداد وتهيئة المنتج السياحي.

ج- الربط بمشروعات التنمية الاقتصادية في الدولة بوجه عام.

obeikandl.com

ويمكن إجمال ما سبق بالقول: إن التنمية السياحية كي تتحقق وتستمر لابد أن يتوافر لها عوامل معينة من حيث:

- البنية التحتية وما تشمله من فنادق، وتنمية عقارية ومنشآت.
- موارد أولية للسياحة من مصادر طبيعية، وسياحية، وتراثية وغيرها من مقومات السياحة.
- تنمية وتدريب وتأهيل القطاع البشري سواءً العاملين في المجال السياحي أو المواطنين العاديين الذين يتعاملون مع السياح.
- الحاجة إلى وجود عنصر تسويق وترويج سياحي لجذب السائحين.

٣- أهداف التنمية السياحية:

إن العمل على تحقيق التنمية السياحية بالمعنى المتكامل هو هدف في حد ذاته، وفي الوقت ذاته هو مرحلة من مراحل تحقيق هدف أكبر وهو تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة[٧٠].

وتتعدد أهداف التنمية السياحية ويأتي في مقدمتها[٧١]:

أ- تحقيق الزيادة المستمرة والمتوازنة في الموارد السياحية للدولة، ويتحقق ذلك بدعم القدرة التنافسية لصناعة السياحة وذلك برفع إنتاجية الموارد البشرية وغير البشرية الموظفة فيها وبالسياسات التسويقية الخارجية الكفء.

ب- تدعيم الارتباط الإنتاجي بين القطاع السياحي والقطاعات الأخرى.

ت- تعظيم الآثار الإيجابية للسياحة في النواحي الاجتماعية والثقافية مع التخلص قدر الإمكان من الآثار السلبية لهذه النواحي.

ث- المساهمة في تنمية البيئة والمحافظة عليها من خلال الاهتمام بمناطق الجذب السياحي وما يحيط بها في المدن والأماكن المختلفة.

إذن، فالتنمية السياحية هي عملية تهدف في المقام الأول إلى جعل فكرة التنمية والتطوير فكرة متأصلة في ذهن الأفراد والمجتمعات، وتحاول أن تصل إلى أن تجعل هذا الفكر التنموي متغلغلاً في ذهن كل من السائح والمواطن المقيم، وذلك بهدف تحسين التعامل مع الموارد السياحية المتوفرة والحفاظ عليها كموارد ذات قيمة إيجابية مستمرة للأجيال التالية، كما تهتم الحكومات بتحقيق هذا الهدف العام للتنمية السياحية؛ حيث إن مجرد التفكير في تطبيق آليات التنمية السياحية ينطوي عليه تحقق التنمية لعدد من القطاعات وبالتالي فهذا يدر نفعًا على الموارد الأخرى في المجتمع، ويعمل على النهوض بمستوى الخدمات في القطاعات المختلفة.

وسعيًا من القائمين على تنمية السياحة ودعم هذا القطاع بشكل متوازن ومستمر، فبدأ التفكير في الحفاظ على الموارد السياحية ودعم فكرة الاستدامة لهذه الموارد بشكل يضمن الحفاظ عليها لأطول فترة ممكنة وهذا ما استدعى ظهور ما يسمى بالتنمية المستدامة عوضًا عن فكرة التنمية التقليدية، وفيما يلي توضيح للفرق بين المقصود بالتنمية التقليدية والتنمية المستدامة.

٤- التنمية التقليدية والتنمية المستدامة:

يرتبط مصطلح التنمية بفكرة الحفاظ على الموارد وإبقائها لمدة أطول وجعل هذه الموارد مستدامة وباقية لتحقيق مزيد من الاستفادة للأجيال المقبلة، ومن هنا ظهر مصطلح «**الاستدامة**» وربطه بفكرة التنمية. ونظرًا لارتباط التنمية المستدامة بالحفاظ على الموارد الطبيعية وحماية البيئة من الهدر والفاقد فهذا جعل هناك من تشابهًا ما بين السياحة الخضراء أو البيئية وفكرة الاستدامة؛ حيث ينطوي كل منهما على هدف واحد وهو حماية البيئة والحفاظ على استمراريتها وبقاء عطائها للسنوات القادمة، وهذا ما جعل التنمية الحديثة «المستدامة» تختلف عن التنمية التقليدية التي لا تضع في اعتبارها هذا البعد البيئي.

كما أن الحاجة والطلب للسفر أو السياحة لمناطق غير ملوثة وللتمتع بخبرة السفر في أماكن طبيعية سوف تزداد وهو ما جعل موضوع التنمية المستدامة يعد اهتمامًا وشأنًا أساسيًّا متزايدًا بالنسبة للمقاصد السياحية التي تتمتع بالطبيعة[٧٢].

والسياحة المستدامة هي مفهوم حصل على اهتمام متزايد منذ الثمانينيات، وبالرغم من أن هذا المفهوم تتم مناقشته مع الاعتبار للبيئة المادية، فإن هذه التعريفات أيضًا تشمل البيئة الاجتماعية والثقافية للمقاصد السياحية، كما أن منظمات ومنها برنامج الأمم المتحدة للبيئة United Nations Environment Program (UNEP) استخدمت واعتمدت هذا المفهوم الذي طُوِّرَ بواسطة منظمة السياحة العالمية[٧٣].

ويسعى مفهوم «التنمية المستدامة» لتحقيق موضوعات خاصة بالمساواة بين الأجيال، وأهداف النمو الاقتصادي، والحماية البيئية، والعدل الاجتماعي، وإذا ترجم مفهوم السياحة البيئية إلى فعل، فإنه من المتوقع أن يساهم في استدامة البيئة، والموارد الاجتماعية والثقافية، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بشكل عام[٧٤].

وقد تطور مفهوم التنمية السياحية التقليدية بإضافة صفة الاستدامة له من خلال اعتبار أن عملية التنمية السياحية هي عملية إشباع حاجات السائحين النفسية والحصول على متطلباتهم دون الإخلال بحقوق الأجيال القادمة من السائحين في احتياجاتهم من الاستمتاع بالبيئة، ومن خلال ذلك يمكن التركيز على أن التنمية المستدامة تضع في اعتبارها نوعًا جديدًا من العدالة والمساواة وهي المساواة بين الأجيال في التمتع بالموارد الطبيعية. ومن هنا فإن التنمية السياحية المستدامة تعني الاعتماد على الطبيعة وليس العمل على استغلال مقوماتها؛ حيث إنها في جوهرها عملية تغيير يكون فيها استغلال الموارد واتجاه الاستثمارات والتطور التكنولوجي في حالة انسجام وتناغم، وتعمل على تعزيز إمكانية ربط الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات الأساسية للسياح[٧٥].

جدول رقم (١)

أوجه الاختلاف بين التنمية السياحية التقليدية والتنمية السياحية المستدامة[٧٦]

وجه المقارنة	التنمية السياحية التقليدية	التنمية السياحية المستدامة
مفهوم عام	تنمية سريعة وليس لها حدود	تنمية تتم على مراحل لها حدود وطاقة استيعابية معينة
	قصيرة الأجل	طويلة الأجل
	سياحة الكم	سياحة الكيف
	إدارة عمليات التنمية من الخارج	إدارة عمليات التنمية عن طريق السكان
استراتيجيات التنمية	تنمية من دون تخطيط	تخطيط أولاً ثم التنمية
	تخطيط جزئي لقطاعات منفصلة	تخطيط شامل متكامل
	التركيز على إنشاء وحدات لقضاء الأجازات	مراعاة الشروط البيئية في البناء وتخطيط الأرض
	مباني حضرية تقليدية	أنماط معمارية محلية
	برامج خطط لمشروعات	برامج خطط مبنية على مفهوم الاستدامة
مواصفات السائح	مجموعات وأعداد كثيفة من السياح	حركة أفراد ومجموعات صغيرة
فترات الإقامة	قصيرة	طويلة
	ضوضاء وأصوات مزعجة	رزانة وهدوء في الأداء
	في الغالب زيارة واحدة للمكان	احتمال تكرار الزيارة مرة أخرى للمكان
	مستويات ثقافية مختلفة	مستوى عالٍ من الثقافة والتعليم

توضح بيانات الجدول السابق مدى الاختلاف بين السياحة التقليدية والمستدامة؛ حيث يظهر أن التنمية التقليدية لا تضع في اعتبارها البيئة ومواردها والحفاظ عليها، كما أنها لا تهتم بتخطيط التنمية ووضع خطط قصيرة وطويلة الأجل على عكس التنمية المستدامة التي تضع في اعتبارها القطاعات المجتمعية المختلفة، وبالتالي تضع خططًا لكل مستوى من هذه القطاعات والتي تهدف في النهاية إلى خدمة قطاع السياحة ككل، كما أن التنمية المستدامة ليست عملية عشوائية بل إنها تضع في اعتبارها التخطيط المسبق لكل مرحلة من المراحل وخاصة أنها تراعي الشروط البيئية وتلتزم بمواصفات خاصة في بناء المنتجعات والقرى السياحية والفنادق.

وما ينطوي على اختلاف مفهوم التنمية ومراحلها وآلياتها بين كل من التنمية التقليدية والمستدامة ينطوي بالتالي أيضًا على مواصفات السائح الذي يتمتع بالخدمات السياحية ويشترك في النشاط السياحي؛ إذ يكون السائح في برامج التنمية المستدامة أكثر مسئولية تجاه البيئة، وبهذا فالعدد يكون أقل ويتمتع السائحون بالهدوء والإحساس بقيمة البيئة والنشاط السياحي الذي يقوم به، كما أنه يهتم باستقاء المعلومات والإلمام بمعارف عن الأماكن التي يذهب إليها ويلتزم بسلوكيات محابية للبيئة.

٥- أدوات تحقيق فكرة الاستدامة في مجال السياحة:

لتحقيق الاستدامة في السياحة يستلزم ذلك وجود عدد من الأدوات مثل[٧٧] :

أ- أدوات لحماية المنطقة (وتشمل مثلاً: أدوات متنوعة لحماية المحميات الطبيعية، والحدائق الوطنية، والمناطق ذات الطبيعة الجميلة).

ب- التعليمات الصناعية (وتشمل مثلاً: التشريع الحكومي، والتعليمات الذاتية للمتطوعين، والمسئولية الاجتماعية المتعلقة بالشركات).

جـ- تكنيكات أساليب إدارة الزائرين (وتشمل مثلاً: قنوات تدفق الزائرين، والدخول المقنن، وتقييد مرور العربات والمركبات، وقواعد التسعير ووضع الأسعار المختلفة).

د- تقييم التأثير البيئي (وتشمل مثلاً تحليل التكاليف والأرباح، وتخطيط الميزانية، ونظام المعلومات الجغرافية).

وتشمل هذه الأدوات الجانب المادي لتأمين السياحة المسئولة من قواعد وتشريعات وتقييم لنتائج هذه السياحة على مستوياتها المختلفة، وليكتمل مفهوم الاستدامة وتتحقق فلابد من وجود متطلبات أخرى خاصة بالأفراد أنفسهم سواءً السائحين المشتركين في النشاط السياحي أو السكان الأصليين أنفسهم ومن هذه الشروط والمتطلبات ما يلي[٧٨] :

١. تشجيع المقيمين من السكان على المشاركة بنشاط وإيجابية في صنع القرارات الخاصة بالسياحة وفي سهولة الحصول والتمتع بالمنافع الاقتصادية، والثقافية والاجتماعية للسياحة.

٢. إن تطبيق مبادئ السياحة المسئولة لا يتطلب فقط فهمًا للمجتمعات المحلية المختلفة، وإنما يتطلب أيضًا اعترافًا بنوعيات مختلفة من السائحين أنفسهم.

٣. ويمكن أن يحد الدخل القليل أو نقص وسائل المواصلات من عمل سائح مسئول ويحد من قدرته على عمل سياحة مسئولة.

ولهذا يجب الاهتمام بتوفير البنية التحتية الأساسية للمواطن والسائح على حد سواء لتشجعيهم على الحفاظ على الموارد البيئية المتاحة، والقيام بالسلوك المسئول تجاهها.

وأثبتت نتائج إحدى الدراسات[٧٩] أن مفهوم التنمية السياحية المستدامة ليس حالة ثابتة من التوازن بين تحقيق الفوائد الاقتصادية وحماية البيئة ومواردها الطبيعية؛ فهناك ما يقرب من ستين تعريفًا متعلقة بالاستدامة، وإن كان ذلك لا يقلل من الالتزام بمفهوم أفضل ممارسة بيئية باعتباره الأداة المثلى لتحقيق الاستدامة، كما أن مفهوم أفضل ممارسة بيئية قد يختلف من منطقة إلى أخرى من منطلق اختلاف مشكلات

وظروف التنمية في كل منطقة؛ الأمر الذي أدى إلى اختلاف مفهوم التنمية السياحية المستدامة أيضًا.

وقد انتشر مفهوم السياحة المتواصلة «المستدامة»، واستخدم هذا المصطلح بصورة قوية سواءً داخل القطاع العام أو القطاع الخاص أو في منظومة السياحة ككل، بحيث أصبح من الدارج أن يتباهى أصحاب المشروعات - أيًّا كان نوعيتها سواء كان عن حق أو باطل - أن نشاطاتهم تتوخى مبدأ «التواصل»، وقد حظيت شركات كبيرة مثل شركة الخطوط الجوية البريطانية وبعض المشروعات الأخرى الصغيرة بكثير من الاهتمام والثناء لنجاحهم في تطبيق ممارسات بيئية ناجحة في نشاطاتهم[٨٠].

عرض الجزء السابق لمفهوم التنمية السياحية وفكرة النهوض بقطاع السياحة وما يستلزمه ويتطلبه هذا المفهوم التنموي من متطلبات وعناصر لتحقيقه بالإضافة إلى عرض الفرق بين التنمية السياحية المستدامة والتنمية التقليدية. ويقدم الفصل التالي للنشاط السياحي في الدول العربية والتعرف على ما تسعى إليه هذه الدول من تحقيق التطور في المقومات السياحية الموجودة لديها، وتشجيع السياحة البينية العربية- العربية وذلك لتحقيق مزيد من التكامل الاقتصادي العربي القائم على السياحة باعتبارها أحد أهم عناصر تحقيق التقدم في الاقتصاد.

●●●